HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

المعاهدات النبوية المتعلقة بالصلح (دروس وعبر)

عبد الفتاح محمد أبوبكر عبدالكريم البلعسي[1]

[1] باحث دكتوراه: جامعة الجزيرة كلية التربية حنتوب

تاريخ القبول: 2020/12/20م تاريخ النشر: 2021/01/01م

المستخلص

تُعَد أهمية هذه الدراسة؛ أنها تدرس المعاهدات النبوية المتعلقة بالصلح، واستنباط الدروس والعبر، والعظات المستفادة منها، والتي تهدف إلى إظهار الصورة الحقيقة لمعاهدات الصلح، وكيفية الاستفادة منها في الوقت الحاضر، وقد بينت في المبحث الأول: تعريف الصلح، ونصّ المعاهدات المتعلقة بالصلح، وفي المبحث الثاني: ذكرت بعض الدروس، والعبر المستفادة من معاهدات الصلح، والمتمثلة بالتزام المسلمين بالصلح، وتوقيف الحرب الإعلامية، والتجاوز عن بعض الشكليات في كتابة الصلح، وضرورة كتابة المعاهدات وتوثيقها، والإشهاد عليها والتنازل عن بعض البنود، وحسن اختيار المفاوضين، والصبر في خوض المفاوضات، وفتح قنوات اتصال مع العدو وجرّه إلى المصالحة، وضرورة الأخذ برأي المرأة، واستثمار الفرص لتحييد الاعداء، وقد استخدمتُ المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلتُ إلى بعض النتائج منها: أن النبي ﷺ عقد عدد من معاهدات الصلح مع بعض القبائل داخل وخارج المدينة، وذلك لتأمين وحماية المدينة من أي عدوان خارجي، وأن المسلمين تصالحوا مع جيرانهم من المشركين، واليهود، والنصارى، والتزم المسلمون بالصّلح، حرص الرسول على كتابة المعاهدات وتوثيقها وضرورة وجود شهود عليها من الطرفين.

الكلمات المفتاحية: المعاهدات, الصلح, الدروس والعبر.

RESEARCH ARTICLE

PROPHETIC TREATIES ON RECONCILIATION (LESSONS AND SERMONS)

Abdul Fattah Muhammad Abubakr Abdul Kareem Albalasi[1]

[1] University of Gezira – Faculty of Education – Hantoub

Accepted at 20/12/2020 **Published at 01/01/2021**

Abstract

The importance of this study is that it studies the prophetic treaties related to peace، and to draw lessons and examples from them، which aim to show the true picture of the peace treaties and how to take advantage of them at the present time. I have explained in the first topic the definition of peace and the text of treaties related to peace and in the second topic I mentioned some Lessons and examples learned from peace treaties، represented by the commitment of Muslims to reconciliation، and to stop the media war، to avoid some formalities in peace writing، the importance of writing and documenting treaties، testify to them، waive some of its clauses، good selection of negotiators، and patience in Going to negotiations، establish channels of communication with the enemy dragging them to reconciliation، and the need to take women's opinion، and invest opportunities to neutralize enemies، and it has used the descriptive analytical method، and I have got some results from it، that the Prophet، PBUH، made numbers of agreements of conciliation treaties with some tribes inside and outside the Madina in order to secure and protect the Madina from any external aggression. The Muslims reconciled with their neighbors of polytheists، Jews، and Christians، also Muslims committed to peace. The Messenger's PBUH keenness on writing and documenting treaties and the importance of witnesses on it from both sides.

Key Words: Treaties Peace Lessons Sermons

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة، والسلام على خاتم النبيين محمد ﷺ، وبعد فقد بعث الله نبيه محمد ﷺ لهداية البشرية مصلحاً لأوضاعها وساعياً لحل الخلافات والنزاعات بين أفرادها بالطرق السلمية؛ لذلك عقد الرسول ﷺ عدد من معاهدات الصلح مع القبائل داخل وخارج المدينة المنورة، وأمر المسلمين بالالتزام بالمعاهدات؛ لما لذلك من تأثير مباشر على العلاقات بين أفراد المجتمع وبين القبائل والدول، والذي يؤدي إلى استقرار الحياة واستمرار العلاقات الطيبة بين المتصالحين؛ لذلك اخترتُ أن أكتب هذا البحث بعنوان (المعاهدات النبوية المتعلقة بصلح دروس وعبر)، وسأتطرق في هذه الدراسة إلى الدروس، والعبر المستفادة من معاهدات الصلح، وذلك لأهميتها في الوقت الحاضر، الذي كثرت فيه الحروب والنزاعات الفردية والدولية، وكذلك إظهار سماحة الدين الإسلامي وحسن تعامل النبي ﷺ مع مخالفيه والتزامه بتنفيذ المعاهدات، والحرص على استقرار الحياة العامة واستتباب الأمن.

مشكلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة إبراز مظاهر ما تعانيه الشعوب والدول من عدم الالتزام بمعاهدات الصلح، ونقضها والذي يؤدي إلى الحروب والاعتداءات وبين الدول المتجاورة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في توضيح المعاهدات النبوية المتعلقة بالصلح، واستخلاص الدروس، والعبر من هذه المعاهدات، وكيفية الاستفادة منها في وقتنا الحاضر.

أهداف الدراسة

- إبراز الصورة الحقيقة في حسن تطبيق معاهدات الصلح والالتزام بها من قبل المسلمين.
- استلهام الدروس والعبر من المعاهدات النبوية المتعلقة بالصلح.

الدراسات السابقة:

1- صلح الحديبية وأبعاده في نشر الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، خالد محمد علي يماني، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا والتاريخية، 1406هـ-1985م، تناول فيها الباحث الصلح من جانب التاريخي، وتحليل بنود الصلح ونتائج الصلح، بينما دراستي ركزت على الدروس والعبر من معاهدات الصلح.

2- التعايش في المنظور الإسلامي-صلح الحديبية إنموذجاً-عبد الستار جاسم محمد الحياني، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد الثامن العدد الثالث، كلية الإمام الأعظم، قسم الدعوة، نينوى، 2008م، تناول فيه الباحث الصلح من جانب التعايش السلمي، بينما بحثي عن الدروس والعبر.

3- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية، تحليل المعاهدات المبرمة في عصر الرسول ﷺ، أ. د. خالد رشيد الجميلي، مركز البحوث والدراسات، العراق، 2008م، ذكر فيها المعاهدات النبوية وشرح بنودها، بينما دراستي تتحدث عن الدروس والعبر المستنبطة من معاهدات الصلح.

4- الأحكام الفقهية في المعاهدات النبوية، نموذج في التطبيق، هاجر محمود عبد المجيد النوباني، رسالة ماجستير في الشريعة والفقه، جامعة موتة، الأردن، 2006م، ذكر فيها الأحكام الفقهية من المعاهدات النبوية، بينما دراستي عن الدروس والعبر في معاهدات المستنبطة من معاهدات الصلح.

المبحث الأول:

نص المعاهدات النبوية المتعلقة بالصلح.

تعريف الصلح:

لغةً: الصلح اسم مصدر صالحه ومصالحة[1]، والصلح من الاصطلاح[2]، والصلح من المصالحة، أي المسالمة وهي خلاف المخاصمة، وقد صالح فلان فلاناً واصطلحاً وتصالحاً، والصلاح ضد الفساد[3].

اصطلاحاً: الصلح: معاقدة يتوصل بها إلى الإصلاح بين المختلفين، ويتنوع أنواعاً، صلح بين المسلمين وأهل الحرب، وصلح بين أهل العدل وأهل البغي، وصلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما[4].

وعُرف في القانون بأنه: توافق إرادتين على إحداث أثر قانوني، سواء كان ذلك الأثر هو إنشاء التزام أو نقله أو إنهاؤه[5].

نص معاهدة صلح الحديبية:

في السنة السادسة للهجرة اتّجه النبي ﷺ ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين إلى مكة، قاصدين العمرة، وساقوا الهدي، ولبسوا ملابس الإحرام، دليلاً على أنهم معتمرون لا مقاتلون، ولم يأخذوا من السلاح إلا السيوف في القرب؛ لحماية أنفسهم، ولكن قريشاً بالرغم من ذلك رأتْ أن دخول المسلمين لمكة ضربة قاسية لها [6]؛ فرفضت دخول المسلمين إلى مكة، فتأزمت الأمور، وبدأت السفارة بين المسلمين وقريش، فبدأ الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح، والنقاط التي يجب أن تتضمنها هذه المعاهدة، وقد طال البحث والجدل والأخذ، حتى تم كتابة الصلح بين المسلمين وقريش[7]:

"باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة[8] مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال[9]، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه[10].

([1]) البعلي، محمد بن أبي الفتح (2003 م) المطلع على ألفاظ المقنع, (ص: 299).
([2]) الحميري, نشوان بن سعيد, شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم, (6/ 3793).
([3]) النسفي, عمر بن محمد بن أحمد (1999 م) , طلبة الطلبة, (ص: 144) , القونوي, قاسم بن عبد الله (2004م) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (ص: 91).
([4]) البعلي, المطلع على ألفاظ المقنع, (ص: 299).
([5]) السنهوري, عبد الرزاق أحمد, (1998م) , نظرية العقد, (81/1).
([6]) ابن هشام, عبد الملك بن هشام بن أيوب، (1955م) , السيرة النبوية, (2/ 317).
([7]) الصلابي، علي محمد (2008م) السيرة النبوية –عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص 673).
([8]) عيبة: أي صدور منطوية على ما فيها، لا تبدي عداوة، انظر، الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب، (7/ 4849).
([9]) الإسلال: السرقة، والأغلال: الخيانة، انظر، الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب، (8/ 4890).
([10]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317) , الطبري, محمد بن جرير بن يزيد, (1387) , تاريخ الرسل والملوك, (2/ 635).

معاهدة صلح أهل نجران:

كتب رسول الله ﷺ إلى أهل نجران في السنة التاسعة للهجرة: "أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم، آذنتكم بحرب والسلام".

فلما وصل الكتاب إلى الأسقف قرأه؛ فذعر به ذعراً شديداً، واستشار أصحابه؛ فأرسلوا وفداً إلى المدينة لمقابلة النبي ﷺ، فلما وصل الوفد غَيَّر حلل السفر ولبس حللاً أخرى من حبرة وخواتم الذهب، فرفض الرسول ﷺ مقابلتهم حتى غيروا لباسهم[11]، فطلب منهم النبي ﷺ المباهلة[12]، فخافوا من الملاعنة حتى لا يصيبهم الهلاك، وحَكموا رسول الله ﷺ أن يحكم فيهم بما يشاء، فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم، وفي اليوم الثاني كتب لهم كتباً[13]:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ، لنجران؛ إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء، وبيضاء، وسوداء ورقيق، وأفضل عليهم، وترك ذلك كله على ألفي حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، ومع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي، ومتعتهم ما بين عشرين يوما فدونه، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كيد ومعرة، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغيروا أسقف من أسقفيته[14]، ولا راهب من رهبانيته، ولا واقها من وقيهاه[15]، وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل فيهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله عز وجل وذمة محمد رسول الله ﷺ أبدا حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم"[16].

معاهدة صلح خيبر

خرج الرسول ﷺ إلى خيبر، بعد عودته من الحديبية في بقية ذي الحجة وبداية محرم من العام السابع للهجرة، فنزل رسول الله ﷺ بالرجيع–وادٍ بين خيبر وغطفان– خوفاً من أن تمدهم غطفان، فبات به حتى أصبح، فغدا إليهم، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والخميس، – أي الجيش – ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فحاصر هم رسول الله ﷺ، في حصنيهم الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل[17].

([11]) سورة آل عمران (آية ٥٩ – ٦١).

([12]) المباهلة: الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. ابن الأثير, النهاية في غريب الحديث والأثر, (1/ 167).

([13]) ابن كثير, إسماعيل بن عمر (1408هـ – 1988م) البداية والنهاية, (7/ 263– 267).

([14]) أسْقُفُ: هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم. السهيلي, الروض الأنف (2/ 344).

([15]) وقيهاه: الواقه: ولي العهد بلغتهم. البيهقي, (5/ 389).

([16]) البيهقي, أحمد بن الحسين (1405هـ) , دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (5/ 389).

([17]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 337) , البيهقي, دلائل النبوة, (4/ 197) , ابن الأثير, علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، (1417هـ / 1997م) الكامل في التاريخ, (2/ 97).

"عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة[18]، ويخرجون منها، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم، ولا عهد"[19].

المبحث الثاني:

الدروس والعبر المستفادة من معاهدات الصلح

تضمنت معاهدات النبي ﷺ المتعلقة بالصلح مع القبائل العديد من الدروس والعبر منها ما يلي:

1- طاعة النبي ﷺ والانقياد لأوامره، وإن خالفت رأي البعض، ذكر عن عمر بن الخطاب ﷺ، وبعض الصحابة أنهم اعترضوا على بعض بنود معاهدة صلح الحديبية التي أبرمها النبي ﷺ مع قريش، لما رأوا في شروطها من الإجحاف والظلم بحق المسلمين، فقد ذهب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر ﷺ فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟! قال: بلى، قال: أولسنا بمسلمين؟! قال: بلى قال: أو ليسوا بالمشركين؟! قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، إلزم غرزه[20]، فأني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟! قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟! قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق، وأصوم وأصلّي وأعتق، من الذي صنعتُ يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً[21].

لكن عمر بن الخطاب وأصحابه ندموا على اعتراضهم، ورأوا أنهم وقعوا في حرج؛ إذ كيف يعترضون على شيء رضيه النبي ﷺ، وظلت تلك الحادثة درساً لهم في حياتهم، وكانوا يحذرون غيرهم من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقعوا فيه، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "أيها الناس! اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأي اجتهاداً، فو الله ما آلو عن الحق وذلك يوم أبي جندل، وبقي عمر بن الخطاب مدة من الزمن متخوفاً من أن ينزل الله عليه عقاباً، فقال: فما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً[22]، وعندما أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى قريش، طلب منه سادتها الطواف بالبيت الحرام إن أراد فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله[23].

2- حكمة الرسول ﷺ في الذهاب إلى مكة معتمراً وهي تحت سلطة قريش، وهذه سياسة حكيمة من النبي ﷺ حتى يتمكن من قلب الطاولة على العدو واستدراجه إلى المفاوضات؛ لأن قريش تدعي حماية البيت واحترام من جاءه حاجاً أو معتمراً، فكيف لها أن تصد محمد ﷺ وأصحابه وهم جاؤوا معتمرين لا محاربين، لأن النبي ﷺ لم يخرج لقتال قريش وإنما خرج لتعظيم البيت الحرام[24]، هذا

([18]) الصفراء: الذهب، والبيضاء: الفضة, والحلقة: قيل المراد بها السلاح، وقيل المراد بها الدروع؛ لأنها في حلق مسلسلة. حوّى, سعيد, (1995م) الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية, (2/ 829).

([19]) البيهقي, دلائل النبوة (4/ 229) , اليعمري، محمد، ابن سيد الناس، (1993م) عيون الأثر في فنون المغازي، (2/ 181).

([20]) أي الزم أمره. والغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج. الواقدي, محمد بن عمر , (1409هـ) المغازي (2/ 606).

([21]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([22]) الحكمي, حافظ بن محمد, (1406هـ) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة, (ص: 172).

([23]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 315).

([24]) السلمي, محمد بن صائل, (وأخرون, 2010 م) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر, (ص: 236).

ما يؤكده قوله عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"[25].

3- مبدى الحوار، يعد الحوار من متطلبات وضرورات العصر، وأحد ظواهره المهمة، وهو وسيلة للتفاهم والإقناع، ولكي يؤدي دوره في تحقيق التواصل بين بي الإنسان؛ لأبد أن تتوافر له مساحة من حرية التعبير والقبول بالآخر؛ لذلك كان النبي ﷺ حريص على استشارة أصحابه، وسماع رأيهم في جميع جوانب الحياة، ولم ينفرد بالرأي رغم تأييد الوحي له، وإنما استشار أصحابه، فأشار عليه أبوبكر الصديق ﷺ، وأخذ برأيه، فعندما علم النبي ﷺ أن قريشاً ستصده، وتمنعه من دخول البيت الحرام قام في أصحابه وقال: "أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محروبين، قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله"[26].

4- جواز توسيط غير المسلمين في الصلح، عند حدوث المنازعات، والخلافات يسعى العقلاء إلى وضع حداً لهذه الخلافات من خلال السعي للإصلاح بين الأطراف المختلفة، ففي الحديبية جاء بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، وكانوا عيبة ونصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فأخبروه خبر قريش، فأخبرهم أنه لم يأت لقتال، وإنما جاء معتمراً، فرجعوا إلى قريش وقالوا يا معشر قريش، إنكم تعجلون على أمر محمد، وأن محمداً لم يأتِ لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه، فقالوا: وإن جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة ولا تتحدث بذلك العرب[27]، كما اختارت قريش الحلس بن علقمة لكونه طرفاً محايداً، ولما يتمتع به من رجحة العقل ومكانته بين العرب، ولما يتمتع به من التقدير من قبل النبي ﷺ وكان يعرفه، ويعرف فيه التأله الشديد والتعظيم للحرم[28].

5- البدء بعرض الهدنة، أو الصلح مع العدو، يجوز لرئيس الدولة عرض الهدنة على العدو إذا رأى في ذلك مصلحة، حتى وأن لم يكن الطلب منهم[29]، لما لها من فوائد على المسلمين، فقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على عقد الصلح، فعند أول اعترض من قريش على دخول البيت الحرام، قال ﷺ : يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[30] والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها [31].

6- توقيف الحرب الإعلامية بين الطرفين، من أجل تنقية القلوب ونسيان الماضي والتمهيد للصلح وهو ما يسمى اليوم إبداء حسن النوايا، جاء في نص المعاهدة: "وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال"[32]، قال السهلي-رحمه الله-: "وأن بيننا عيبة مكفوفة أي: صدور منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وضرب عيبة مثلاً"[33]، وكذلك منع الإغلال أي: منع الخيانة بشتى

([25]) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (رقم 2731)، (3 /193).

([26]) البخاري، الجامع المسند الصحيح, كتاب المغازي, باب غزوة الحديبية, (رقم 4178) , (5/ 126).

([27]) ابن حبان, محمد بن حبان (1417هـ) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء, (1/ 281).

([28]) الصلابي, السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص: 677).

([29]) النجدي, محمد بن عبد الوهاب, (1407هـ - 1987م) مختصر زاد المعاد, (ص: 157) , الصلابي, السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص: 676).

([30]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 309).

([31]) البيهقي, دلائل النبوة, (4/ 101) , ابن كثير, البداية والنهاية, (4/ 198).

([32]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([33]) السهلي, عبد الرحمن بن عبد الله, (2000م) , الروض الأنف, (7/ 69).

أصنافها، ومنع السرقة، والاختلاس بجميع صورها، فلا يغصب رجل مال غيره خيانةً وقهراً، ولا يسرق منه شيء سراً، قال السهلي: لا إغلال: هي الخيانة، والإسلال: السرقة والخلسة ونحوها"[34].

7- الحرص على بقاء باب الاتصال مفتوحاً، تعمل الأطراف المتنازعة على فتح قنوات اتصال مع العدو؛ ليسمع منهم ويسمعوا منه، وذلك بواسطة إرسال الرسل والسفراء، وفي هذا تهدئة للنفوس وسبيل لتقارب وجهات النظر، وإيقاف للتصعيد الحربي، فقد دعا رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة؛ ليخبرهم أن محمد ﷺ لم يأتي لقتال، وإنما أتى معظماً وزائراً للبيت الحرام، ثم دعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ، فبعثه إلى أبي سفيان' وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، وكذلك أرسلت قريش رسلها إلى النبي ﷺ، وبقي باب الحوار مفتوح حتى تم الصلح وتوقيعه[35].

8- تقرير مبدأ عملية التفاوض على جميع الأصعدة والمستويات، لما لهذه العملية من أهمية كبيرة في الوصول إلى تفاهمات وحلول تنأى بصاحبها عن اللجوء إلى استخدام العنف أو اللجوء إلى الحرب، فقد كانت سياسة النبي ﷺ في الحديبية واضحة في فتح قنوات اتصال شعبية ورسمية مع قريش لطرح عملية التفاوض والتفاهم بدلاً من المعركة والحرب، فهذا عروة بن مسعود؛ يطرح عملية التفاوض مع الرسول ﷺ لِما رآه من صدق نية النبي ﷺ ورغبته في حل الأزمة القائمة بطريقة التفاوض والتفاهم، رغم إصرار قريش على إدخال المنطقة في حرب طاحنة؛ لمجرد حمية جاهلية، فقال عروة: يا معشر قريش تتهموني؟ قالوا: ما أنت عندنا بمتهم ... فقال: إني ناصح لكم شفيق عليكم، لا أدخر عنكم نصحاً، وأنّ بديلاً قد جاءكم بخطة رشد فاقبلوها ... ثم قال: أبعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده وأكون لكم عينا عليه آتيكم بخبره"[36]، ثم أرسلت قريش مكرز بن حفص لمواصلة عملية التفاوض، فلما رآه النبي ﷺ قال: "إن هذا رجل غادر"[37]، لكن النبي ﷺ بسياسته الحكيمة وأخلاقه الرفيعة استقبله كمفاوض رسمي، وأجرى معه محادثات، ثم أرسلت قريش الحليس بن علقمة؛ ليقوم بدور الوسيط والمفاوض مع النبي ﷺ فقال الحليس: "سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريش ورب الكعبة، إن القوم إنما أتوا عماراً، فقال رسول الله ﷺ أجل يا أخا بني كنانة" [38]، ولما شعرت قريش بحراجة الموقف أرسلت سهيل بن عمر لإخراجها من هذا الموقف الصعب، والحفاظ على ماء الوجه أمام القبائل العربية، فلما رآه النبي ﷺ قال: أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل[39].

9- المعرفة بحال المفاوضين من والوسطاء، يسعى كل طرف من أطراف النزاع إلى معرفة أفراد الفريق المفاوض من خلال شخصيته وسلوكه وخبراته، وكيفية التعامل مع كل واحد منهم، وذلك لما فعله النبي ﷺ مع كل من قابلهم في مفاوضات صلح الحديبية، عندما جاء بديل بن ورقاء في وفد خزاعة، وهم حلفاء النبي ﷺ حرص على أن يوضح لهم موقفه، ويبرز لهم قوته، واستعداده للحرب أن رفضت قريش الصلح، وأيضاً عبر عن شفقته على عدوه الذي انهكته الحرب، وذلك لزيادة قوة التحالف بينه وبين خزاعة، وعندما أتى عروة بن مسعود الثقفي الذي حاول أن يستخدم الحرب النفسية مع المسلمين، بتعظيم قريش، وأن المسلمين

([34]) السهلي, الروض الأنف, (7/ 69).

([35]) ابن كثير, البداية والنهاية, (4/ 191) , الصلابي, السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص: 663).

([36]) الواقدي, المغاري, (2/ 594).

([37]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 312) , الواقدي، المغاري, (2/ 599).

([38]) الشامي, محمد بن يوسف, (1993م) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، (5/ 45).

([39]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 316) , الطبري, تاريخ الرسل والملوك، (2/ 628).

لا يملكون إلا الفرار، فأراه النبي ﷺ طاعة الصحابة وحبهم له وتفانيهم في الدفاع عنه، وما يتمتعون به من معنويات عالية، واستعداد نفسي وعسكري عالي يفوق الوصف، فعاد إلى قريش محذراً إياها من الاستعجال في الدخول بحرب مع المسلمين، وعندما جاء الحليس بن علقمة، سيد الأحابيش، الذي كان يعظم البيت الحرام، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: أيصد عن بيت الله من جاء معظما له! والذي نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد[40]، فقد أعترض على موقف قريش من منع النبي ﷺ وأعترف بظلمها، وأمرها أن تخلي بينه وبين البيت، وعندما جاء سهيل بن عمرو؛ تفاءل النبي ﷺ بقدومه فقال: قد سهل لكم من أمركم، قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل[41]، وهذا يفيد المفاوض في الوقت الحاضر من ضرورة التعرف على وفد الطرف الآخر، من خلال سيرة الوفد وتوقيت المفاوضات والمكان الذي ستجري فيه، قبل الخوض في غمار المفاوضات.

10- الصبر والنفس الطويل في خوض المفاوضات حتى الوصول إلى الاتفاق، فقد رأينا مدى صبر النبي ﷺ ومدى تحمله وخوضه هذه المفاوضات الطويلة، فقد اتفق الطرفان على بعض البنود، واختلفا على البعض الأخر، وقد طال الأخذ والرد، واستمر إرسال المفاوضين، حتى تقاربت وجهات النظر، والوصول إلى صيغة توافقية ترضي الطرفين، فقد قدم بعض التنازلات في سبيل إتمام الصلح والحرص على نجاحه، ولو كان استجاب لرغبات بعض المسلمين أو لهوى في نفسه لما تم هذا الصلح، فقد تنازل عن لفظ بسم الله الرحمن الرحيم، وأيضاً عن لفظ محمد رسول الله[42].

11- التنازل عن بعض الشكليات لتحقيق الصلح، يعد تقديم بعض التنازلات من الأطراف المتفاوضة ضرورية لإتمام الصلح، وتقارب وجهات النظر، فقد تنازل الرسول ﷺ عن الأمور التي أعترض عليها سهيل بن عمرو عند كتابة بنود الصلح، فعندما كتب علي بن ابي طالب ﷺ "بسم الله الرحمن الرحيم"، أعترض عمرو وقال: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم؛ فكتبها[43]، وعندما كتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك! فقال رسول الله ﷺ: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو[44].

قال الخطابي: "وفي امتناع سهيل بن عمرو على رسول الله ﷺ أن يصدر كتاب الصلح ببسم الله الرحمن الرحيم، ومطالبته إياه أن يكتب باسمك اللهم ومساعدة رسول الله ﷺ إياه على ذلك باب من العلم، فيما يجب من استعمال الرفق في الأمور ومداراة الناس فيما لا يلحق دين المسلم به ضرر، ولا يبطل معه لله سبحانه حق، وذلك إن معنى: باسمك اللهم، هو معنى: بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك المعنى في تركه أن يكتب محمد رسول الله، واقتصاره على أن يكتب محمد بن عبد الله؛ لأن انتسابه إلى أبيه عبد الله لا ينفي نبوته، ولا يسقط رسالته[45]، قال النبي ﷺ: "والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني"[46].

([40]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 312).

([41]) الطبري, تاريخ الرسل والملوك، (2/ 628) , ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 316).

([42]) الصلابي, السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص: 673).

([43]) الغزالي, محمد السقا (1427هـ) , فقه السيرة, (ص: 334).

([44]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([45]) الخطابي, حمد بن محمد (1932م) معالم السنن, (2/ 330).

([46]) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الشروط, باب الشروط في الجهاد والمصالحة (رقم 2731) , (3/ 195).

12- ضرورة كتابة العقود، والمواثيق، والإشهاد عليها، كتابة العقود هي أفضل وسيلة لحفظ العقود، والمواثيق من التحريف، أو التبديل، وحتى يكون لدى كل طرف نسخة من المعاهدة يحتج بها على الطرف الأخر إذا اختلفا في أي بند رجع كل طرف إلى ما هو مكتوب في نسخته، وإلى الشهود عليها، ففي معاهدة الحديبية؛ طلب النبي ﷺ من علي بن أبي طالب ﷺ أن يكتب بنود معاهدة الحديبية مع قريش، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله؛ سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو[47]، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة-رضي الله عنهم-، كما أشهد عليه رجالاً من المشركين: مكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وكان كاتب الصحيفة علي بن أبي طالب ﷺ[48].

13- استثمار الفرص، وتحييد الاعداء، استطاع النبي ﷺ بحكمته، وبراعته أن يحيد قريش عن معترك الصراع القائم بينهما، من خلال توقيعها على معاهدة الصلح والتي نصت على وقف الحرب عشر سنوات، فقد كان هذا نجاحاً كبيراً في سياسة النبي ﷺ، ولم يكن تحييد لقريش فقط بل فتح الطريق أمام القبائل الأخرى للتخلص من هيمنة قريش عليهم، كما فتح المجال أمام القبائل، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، فدخل في زمن الهدنة اضعاف ما دخلوا من قبل، قال ابن القيم: "أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح؛ فإن الناس أمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادئوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مختفياً بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سمّاه الله فتحاً مبيناً"[49]، كما اتاح الفرصة للنبي ﷺ لمراسلة الملوك، والأمراء من خلال إرسال الرسائل بعد العودة من الحديبية مباشرة.

14- أهمية الجانب الإعلامي، للجانب الإعلامي أهمية كبيرة في رفع المعنويات، وبث الرعب في صفوف الإعداء، والتأثير على معنوياتهم، حيث عمل الجانب الإعلامي-بعد فتح خيبر ووادي القرى وتيماء- ودويا هائلاً ضجة إعلامية كبيرة في الجزيرة العربية، وقد أصيبت قريش بالغيظ والكآبة والدهشة، لما حصل من نصر للمسلمين؛ إذ لم تتوقع ذلك وهي تعلم مدى قوة تحصين قلاع خيبر، وكثرة عدد مقاتليهم ووفرة سلاحهم ومؤونتهم ومتاعهم، أما القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خيبر، وانتصار المسلمين الساحق، ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين، وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعاً لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق لهم من خير، وتعزيز لوضعهم الاقتصادي[50].

15- التنازل عن بعض البنود، وطلب الغائها، فقد طالبت قريش من النبي ﷺ أن يلغي بند من خرج من قريش إلى النبي ﷺ أن يعيده إلى قريش، وذلك بسبب أبي بصير، عندما قتل أحد أفراد قريش، وعاد إلى المدينة فقال ﷺ: "ويل أمة مسعر حرب لوكان معه أحد"[51]، فخرج حتى نزل سيف البحر موضعاً يقال له: "العيص" من ناحية المروة على ساحل البحر بطريق قريش، وأنضم اليه جميع المستضعفين في مكة، لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا أصحابها، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله

([47]) ابن كثير, إسماعيل بن عمر (1976م) السيرة النبوية, (3/ 320).

([48]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 319) , ابن كثير, البداية والنهاية (4/ 193).

([49]) ابن القيم، محمد الجوزية, (1994م) زاد المعاد في هدي خير العباد، (3/ 275).

([50]) بن حميد, صالح بن عبد الله, نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم, (1/ 353).

([51]) البيهقي, دلائل النبوة, (4/ 173).

ﷺيسألونه، ويتضرعون إليه ويناشدونه بالله والرحم أن يرسل إلى أبى بصير، وأبى جندل بن سهيل، ومن معهم فيقدموا عليه، وقالوا: إنا أسقطنا هذا الشروط فمن أتاه فهو آمن[52].

16- حق الانضمام إلى المعاهدة، غالباً ما تكون المعاهدات الدولية مفتوحة لمن أراد الانضمام إليها من الأطراف والدول الأخرى، وهذا ما حصل في معاهدة صلح الحديبية حيث لم تقتصر على طرفي النزاع المسلمين وقريش؛ ولكنها سمحت لمن أراد أن يدخل فيها من قبائل العرب[53]، جاء في نص المعاهدة: "من أحب أن يدخل في عهد محمد دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل"[54]، أي من أراد أن يدخل في عهد النبي ﷺ، وأن يلتزم بما التزم به محمد ﷺ من المهادنة، وعدم إثارة الحروب والبعد عن الاعتداء كان له أن يدخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش ويلتزم بما التزمت به في هذا الصلح من المهادنة وعدم الاعتداء كان له أن يدخل فيه، فبادرت خزاعة ودخلت في حلف النبي محمد ﷺ وبادرت بنو بكر فدخلت في حلف قريش، فامن كل من القبيلتين على أهلها ومالها من ما كانت تتعرض له القبائل في الجاهلية من اعتداءات، وبهذا البند توسع عهد الصلح، ففتح المجال لاستتباب الأمن بين سائر سكان المنطقة، كما فتح هذا البند أمام القبائل المترددة، والخائفة من الانضمام إلى أحد الفريقين[55].

17- التوضيح للناس بمصلحة الصلح أو المعاهدة، بالرفق واللين والحكمة، وهذا ما فعله النبي ﷺ فقد كان يطمئن أصحابه ويعدهم بالنصر" إني رسول الله، ولست أعصيه"[56]، وهو ناصري"، وقوله لعمر بن الخطاب ﷺ: "فإنك آتيه ومطوف به"[57]، يقصد بذلك البيت العتيق، ويجيب عن تساؤلاتهم بالعقل، فعندما سأل عمرﷺ عن موعد زيارة البيت الحرام والطواف به، أجابه ﷺ أنا نأتيه العام، وقد نزل القرآن مبشراً بذلك الفتح، وعندما جاء أبو جندل هارباً من مكة وضّح له النبي ﷺ بأسلوب حكيم قائلاً له: يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد صالحنا هؤلاء القوم وجرى بيننا وبينهم العهد، وإنا لا نغدر[58].

18- معاملة المُسالمين بمظاهر الكرم واللّين، عامل النبي ﷺ المُسالمين معاملة طيبة ومنحهم بعض الامتيازات التي لم تمنح لغيرهم ممن عاهدوا من قبل، وذلك يرجع إلى حسن تعاملهم مع المسلمين، حيث تعامل النبي ﷺ مع أهل نجران معاملة طيبة؛ لأنهم لم يظهروا بمظهر التحدي للإسلام والمسلمين، وأن كان ذلك راجعاً إلى رهبتهم، إلا أن ما أظهروا من استجابة للرسول ﷺ وقبول حكمه عليهم، نتيجة لمعرفتهم بعدله وثقتهم به، أعطاهم تلك المميزات عن غيرهم من المعاهدين، جاء في نص المعاهدة، "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم ... وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش"[59]، كما سمح ﷺ لوفد نجران بالصلاة في المسجد النبوي، ومنع المسلمين من الاعتداء عليهم، يقول: "بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا

([52]) الدِّيار بَكْري, حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (2/ 24).

([53]) الصلابي, السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, (ص: 676).

([54]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([55]) المباركفوري, صفي الرحمن, الرحيق المختوم, (ص: 362).

([56]) البيهقي, دلائل النبوة, (4/ 106).

([57]) ابن كثير, البداية والنهاية, (3/ 334).

([58]) البيهقي, دلائل النبوة, (9/ 380) , الغزالي, فقه السيرة, (ص: 335).

([59]) البيهقي, دلائل النبوة, (5/ 389).

وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم، فصلوا إلى المشرق"[60].

19- ضرورة التعاون الأمني المشترك، الأمن هو أحد الضروريات التي يحتاجها أي نظام يسعى إلى الاستقرار، فإذا كان الأمن الداخلي مسألة خاصة بكل دولة؛ فإن هناك أمن خارجي مشترك بين دول العالم تحكمه اتفاقيات تعاون أمنية، تعقدها الدول مع جوارها الإقليمي، من أجل حماية المصالح العامة وتأمينها، وفق منظومة أمنية متبادلة ومواثيق مشتركة، وذلك لما فعله النبي ﷺ في الحديبية، نصت المعاهدة على: "أنه لا إسلال ولا إغلال"[61]، أي أن يأمن بعضنا بعضاً, في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله سراً ولا جراً ولا يخونه في شيء من ذلك[62].

وتأتي أهمية الاتفاقيات الأمنية المتبادلة أنها تعمل على مكافحة الجريمة وردعها، والمحافظة الأمن العام والسلم المجتمعي، ومن ضمن الاتفاقات الأمنية المتبادلة عدم إيواء المعارضين للدول وإبعادهم، أو تسليمهم إذا اقتضت المصلحة العامة، وهذا ما جاء في نص معاهدة الحديبية، قال سهيل بن عمر: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، ورفض سهيل بن عمر أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك وامعضوا، فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا ردّه في تلك المدة، وإن كان مسلماً[63]، وعندما أتى أبو بصير إلى المدينة طلبت قريش من الدولة الإسلامية إرجاعه إليها فوراً حسب المعاهد الأمنية؛ لتبادل الخارجين عن قانون المعاهدة، قال ﷺ: يا أبا بصير إن هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمت، وإنا لن نغدر فالحق بقومك[64].

إن الحفاظ على الأمن مسؤولية مشتركة يساعد فيها أفراد المجتمع الأجهزة الحكومية في مهامها الأمنية في محاربة الخارجين عن القانون، والساعين إلى زعزعة الأمن والاستقرار، والضرب بحزم على كل من تسوّل له نفسه المساس بمقدرات الوطن وحقوق المواطن.

20- الحفاظ على القوة البشرية، وتجنب الاصطدام بالعدو، كان النبي ﷺ حريص على، وتفويت الفرصة على دعاة الحرب، والتزام بسياسة السلم التي رسمها عند خروجه من المدينة، فعندما وصل ﷺ عسفان، أُخبر أن قريشاً قد خرجت لصده، سلك النبي ﷺ بأصحابه طريقاً وعرة؛ ليتفادى الاشتباك مع المشركين، وقال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها، فقال رجلاً من أسلم: أنا يا رسول الله[65]، وخرج الرجل يسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب مضنية، وجد المسلمون في سلوكها مشقّة أي مشقة، حتى أفضتْ بهم إلى سهل عند منقطع الوادي الذي سلكوا فيه ذات اليمين حتى خرجوا على ثنيّة المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة[66].

21- التزام المسلمين بالصلح، أوجب الدين الإسلامي على المسلمين، ضرورة الالتزام بالعهود، والمواثيق التي تعقد مع الأطراف الأخرى، سواء كانت فردية أو جماعية، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}[67]، فقد التزم المسلمون بشروط صلح

([60]) ابن هشام, السيرة النبوية, (1/ 574).

([61]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([62]) الخطابي, معالم السنن, مرجع سابق (2/ 336).

([63]) البخاري, الجامع المسند الصحيح, كتاب المغازي باب غزوة الحديبية, (رقم 4180) , (5/ 127).

([64]) الحكمي, مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة, (ص: 180).

([65]) السهلي, الروض الأنف, (6/ 454).

([66]) هيكل, محمد حسنين, حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم, (ص: 234).

([67]) سورة المائدة (الآية ١).

الحديبية منذ البداية، وسلموا لأمر الله ورسوله ﷺ، وترجموا ذلك بأفعالهم، فعند قدوم أبي جندل إلى الحديبية هارباً من مكة، وطالباً من المسلمين نصرته وتخليصه من أسر قريش، وحتى لا يفتن في دينه، فقد أمره رسول الله ﷺ بالصبر، وتحمل أذى قريش؛ لأن المسلمين قد عقدوا الصلح مع قريش، وأقروا بنوده، فأي تراجع يعد نقض للصح، قال رسول الله ﷺ: "يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد صالحنا هؤلاء القوم وجرى بيننا وبينهم العهد، وإنا لا نغدر"[68].

22- أن الصلح لا يحقق كل المكاسب المطلوبة، إن عقد المصالحة أو الهدنة لا تعني بالضرورة الحصول على جميع المكاسب، ولا تستعيد كافة الحقوق المسلوبة، فالنبي ﷺ في صلح الحديبية قَبِلَ بزيارة مكة ثلاثة أيام فقط، ثم يخرج منها رغم أن ديار المسلمين وأموالهم في مكة تحت سيطرت قريش، كما أن بعض المسلمين مضطهدين من قريش، جاء في بنود معاهدة صلح الحديبية: "أن يرجع محمد وأصحابه عامه هذا، فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون، فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من أنواع التعرض"[69]، وهذا يدل على جواز عقد مصالحة مع الأعداء، حتى وأن لم تتحقق جميع المصالح والمكاسب من الصلح، كما أن تحقيق بعض المكاسب لا يعني التنازل عن الحقوق الأخرى، مثل التنازل عن أرض المسلمين أو جزءًا منها.

23- الأخذ برأي المرأة في الشورى، لما فعله النبي ﷺ في معاهدة صلح الحديبية، فبعد أن تم عقد الصلح، الذي نص على أن يعود المسلمين إلى المدينة؛ تنفيذاً لشروط الصلح، آمر النبي ﷺ أصحابه بحلق رؤوسهم ونحر الهدي، لكن سبب شدة الأمر في نفوسهم، ذهلوا من الاستجابة السريعة لأمر النبي ﷺ، ولعل البعض كان يرجو أن يتغير هذا الواقع، فدخل النبي ﷺ على زوجه أم سلمة-رضي الله عنها-، فأشارت عليه وقالت: " يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام ﷺ فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[70]، فاستشارت النبي ﷺ لأم سلمة-رضي الله عنها-بأمر مهم ومصيري يتعلق بالمسلمين، فأخذ برأيها وعمل به، فهذا دليل على مشاركة المرأة في الشوري وفي الأخذ برأيها حتى في أمور الدين وفي أوقات الحرب.

24- المشاركة الفاعلة للمرأة المسلمة ، شاركت المرأة المسلمة بفاعلية كبيرة في الحياة العامة؛ حيث وقفت إلى جانب أخيها الرجل، فقدمت المساعدات وشاركت في مداواة الجرحى، فقد حضرت في خيبر بأكبر عدد من النساء، قال الواقدي: "خرج مع رسول الله ﷺ من المدينة عشرون امرأة"[71]، للمشاركة بما تستطيع من أعمال عسكرية أو مدنية، فكن يداوين الجرحى ويساعدن المسلمين، روت أمية بنت قيس، قالت: جئت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا: إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله ﷺ: على بركة الله! قالت: فخرجنا معه[72]، لذلك على الدول الإسلامية تفعيل دور المرأة في منحها مشاركة واسعة في جوانب الحياة العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولا سيما في مجال التربية والتعليم والصحة وغيرها من الوظائف.

25- تعظيم حرمات الله، فقد كان هذا من أولويات النبي ﷺ، وذلك عندما وصل رسول الله ﷺ إلى مشارف بيت الله الحرام،

([68]) البيهقي, أحمد بن الحسين, (1424هـ) السنن الكبرى, (9/ 380) , الغزالي, فقه السيرة, (ص: 335).

([69]) الواقدي, المغازي, (2/ 611) , السهلي, الروض الأنف, (6/ 463).

([70]) البيهقي, دلائل النبوة, مرجع سابق (4/ 107).

([71]) الواقدي, المغازي, مرجع سابق (2/ 685).

([72]) الواقدي, المغازي, مرجع سابق (2/ 685).

بركت ناقته القصواء، فقال: " والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"[73]، فأي خطة ينتج عنها تعظيم حرمات الله تعد خطة مشروعة؛ لأنها تحقق أهداف مشتركة وأن كانت في ظاهرها تخدم مصالح العدو، فقد اعتبر النبي ﷺ الحفاظ على صلة الأرحام مقصداً مهماً وهدفاً من أهداف السياسة العامة والعلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، الذي تسعى إلى تحقيقه، قال تعالى: }واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً[74].

قال ﷺ: القوم يأتون إليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح[75]، قال ابن القيم: "أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مُرّض له، أجيب إلى ذلك كائنا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها، وأشقها على النفوس"[76].

26- الغضب لله ولدينه والغيرة على محارم الله أمر محمود في مثل هذه المواقف، فقد رأينا موقف الصحابة رضي الله عنهم من بعض بنود الصلح التي كان ظاهرها الإجحاف بحق الإسلام والمسلمين، فلقد راجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: "فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني[77]، فذهب إلى أبي بكر يسأله فأجابه بمثل جواب الرسول ﷺ، فاقتنع رغم أنه بقي في نفسه شيء حتى نزل القرآن على النبي ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر يخبره، فقال أو فتح هو؟ قال نعم، فطابت نفسه ورجع[78]، وكذلك موقف الصحابة من إرجاع أبي جندل-رضي الله عنه-بعد أن جاء إلى المسلمين يستنجد بهم من بطش قريش، ولكن هذه الحمية، والغضب يجب أن تضبط بضوابط الشرع، فلا يباح الغدر بأي حال من الأحوال، ولا يترك الوفاء بالعهد، لكن الصحابة بإيمانهم القوي وحكمة النبي ﷺ استطاعوا ضبط أنفسهم والسيطرة على عواطفهم.

27- اعتماد بدل سفر، وضيافة للوفود والسفراء، أَوْلَت الدولة الإسلامية اهتماماً كبيراً، باستقبال وتسكين الوفود في بداية الدعوة الإسلامية، اشترط النبي ﷺ على قبيلة نجران؛ أن تتكفل باستقبال وفد الدولة الإسلامية المكلف بجمع الضرائب وتتحمل تكاليف السفر والإقامة والضيافة لمدة لا تزيد عن عشرين يوماً، كما أنه لا يحق لأهل نجران تأخير الوفد أكثر من شهر؛ لأن تأخير الوفد بأكثر من المدة المتفق عليها شهراً، يحمل أهل نجران تكاليف إضافية في الضيافة والإعاشة، نصت المعاهدة، "على نجران مؤنة رسلي، ومتعتهم ما بين عشرين يوما فدونه، ولا تحبس رسلي فوق شهر"[79].

28- أهمية المساقاة والمزارعة في استثمار الأراضي الزراعية، يعد الاستثمار في الأراضي الزراعية من الجوانب المهمة في نمو اقتصاد الدولة، ويعمل على توفير المنتجات الزراعية للاستهلاك المحلي وكذلك للتصدير إلى الخارج، لتوفير الاموال التي تحتاجها الدولة من عائدات التصدير، كما أن ترك الأراضي الزراعية وإهمالها ضرر على اقتصاد البلد؛ لذلك شرع الإسلام المساقاة والمزارعة في زراعة الأرض، وذلك لما فعله النبي ﷺ عندما أراد إجلاء أهل خيبر عن أراضيهم حسب بنود معاهدة الصلح التي وقعها

([73]) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة, (رقم 2731)، (3 /193).

([74]) سورة النساء (آية١).

([75]) ابن أبي شيبة, أبو بكر عبد الله, (1409ه) المصنف في الأحاديث والآثار, , كتاب المغازي, (رقم 36851) , (7/ 385).

([76]) ابن القيم, زاد المعاد في هدي خير العباد, (3/ 269).

([77]) ابن هشام, السيرة النبوية, (2/ 317).

([78]) البيهقي, دلائل النبوة, (4/ 148).

([79]) البيهقي, دلائل النبوة, (5/ 389).

معهم، فعرضوا عليه أن يسمح لهم بالبقاء في أرضهم لإصلاحها وزراعتها والعناية بها؛ مقابل أن يدفعوا نصف ما يخرج منها ولهم النصف الباقي، فوافق النبي ﷺ على ذلك الطلب، للاستفادة من أراضي خيبر الواسعة وبساتينها الكثيرة، باعتبارها مصدر دخل كبير للدولة الإسلامية، وأيضاً لانشغال المسلمين بالجهاد وعدم قدرتهم على ممارسة الفلاحة في أرض خيبر الواسعة، والتي تحتاج على عدد كبير من العمال في مجال الزراعة[80]، عن عبد الله بن عمر، قال: "لما افتتحت خيبر سألت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم فيها، على أن يعملوا على نصف ما خرج منها من الثمر والزرع، فقال رسول ﷺ: أقركم فيها على ذلك ما شئنا"[81].

29- توسيع دائرة العلاقات السياسية لتشمل أكثر من جهة، سعى النبي ﷺ لتوسيع دائرة العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المسلمين وغيرهم، فبعد عودته النبي ﷺ قام بمراسلة قادة الشعوب والأمم بجنسياتها المختلفة، الروم والفرس والأحباش والأقباط، والبحرين وعمان ودمشق وغيرهم، عن أنس بن مالك: "أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"[82].

النتائج

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

1- أن النبي ﷺ عقد عدد من معاهدات الصلح مع القبائل داخل وخارج المدينة، وذلك لتأمين وحماية المدينة من أي عدوان.
2- أن المسلمين تصالحوا مع جيرانهم من المشركين واليهود والنصارى، والتزم المسلمين بالصلح، ولم يسعوا إلى نقضه كما فعلت قريش.
3- حرص الرسول ﷺعلى كتابة المعاهدات، وتوثيقها، وضرورة وجود شهود عليها من الطرفين.
4- حرص الرسول ﷺ على إبقاء باب الحوار، والاتصال مفتوح مع العدو، وتوقيف الحرب الإعلامية بين الطرفين وإبداء حسن النوايا، من أجل الوصول إلى المصالحة، وإعطاء القبائل حق الانضمام إلى المعاهدات، والتنسيق والتعاون الأمني لمحاربة الخارجين عن القانون.
5- التنازل عن بعض الشكليات وبعض البنود، والبدء بعرض الهدنة والصلح مع العدو والصبر، والنَّفَس الطويل في خوض المفاوضات، من أجل الوصول إلى الاتفاق.
6- أن الرسول ﷺ قام بمراسلة الملوك والأمراء بعد عودته من صلح الحديبية، كما أهتم باستقبال وضيافة السفراء والمبتعثين.

التوصيات

- إجراء مزيد من الدراسات لمعاهدات الصلح للاستفادة منها في مسائل الصلح.
- التزام شروط الإسلام عند أي مفاوضات وحوارات محلية أو دولية.

([80]) الصائغ, عبد السميع, (1979م) المعاهدات النبوية, (ص183) , الصلابي, السيرة النبوية, (ص: 712).
([81]) مسلم, المسند الصحيح المختصر, كتاب المساقاة, باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع, (رقم 1551) , (3/ 1187).
([82]) مسلم, المسند الصحيح المختصر، في كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك, (رقم 1774)، (3/ 1397).

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (1409هـ) المصنف في الأحاديث والآثار، تحقق: كمال يوسف، مكتبة الرشد – الرياض، ط1.
3. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، (1979م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد الزاوي، المكتبة العلمية – بيروت.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1994م) زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27.
5. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، (1417هـ) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، عزيز بك، الكتب الثقافية –بيروت، ط3.
6. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1976م) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة لبنان.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1988م) البداية والنهاية، تحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1.
8. ابن هشام، عبد الملك، (1955م)، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا، مكتبة البابي مصر، ط2.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير ،: دار طوق النجاة ط1.
10. البعلي، محمد أبي الفتح (2003 م) المطلع على ألفاظ المقنع، المحقق محمود الأرناؤوط، مكتبة السوادي، ط1.
11. ابن حميد، صالح عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، دار الوسيلة، جدة، ط4.
12. البيهقي، أحمد بن الحسين، (2003م)، السنن الكبرى، المحقق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.
13. البيهقي، أحمد بن الحسين، (1405هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب، بيروت، ط1.
14. الحكمي، حافظ بن محمد، (1406هـ)، مرويات غزوة الحديبية، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
15. الحميري، نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب، المحقق، حسين عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1.
16. حوّى، سعيد، (1995م) الأساس في السنة وفقهها–السيرة النبوية، دار السلام، ط3.
17. الخطابي، حمد بن محمد (1932م) معالم السنن شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية حلب، ط1.
18. الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر بيروت، ب ت.

19. الزمخشري، محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقق علي البجاوي، دار المعرفة لبنان، ط2.

20. السنهوري، عبد الرزاق أحمد، (1998م)، نظرية العقد، منشورات الحلبي الحقوقية لبنان، ط2.

21.لي، عبد الرحمن (2000م) الروض الأنف، المحقق: عمر عبد السلام ، دار إحياء التراث، بيروت، ط1.

22. الشامي، محمد، (1993 م) سبل الهدى والرشاد، تحقيق، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت، ط1.

23. الصلابي، علي محمد (2008م) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة بيروت، ط7.

24. الطبري، محمد بن جرير (1387هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث – بيروت، ط2.

25. الغزالي، محمد (1427هـ) فقه السيرة، دار القلم – دمشق، ط1.

26. القونوي، قاسم بن عبد الله (2004م)، أنيس الفقهاء، المحقق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط1.

27. المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الهلال – بيروت، ط1.

28. مسلم، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

29. النجدي، محمد بن عبد الوهاب (1987م) مختصر زاد المعاد، دار الريان – القاهرة، ط2،

30. النسفي، عمر بن محمد بن أحمد، (1999 م)، طلبة الطلبة، مكتبة المثنى ببغداد، بدون طبعة.

31. هيكل، محمد حسنين، حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الناشر بدون الطبعة بدون.

32. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (1409هـ) المغاري، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط3.

33. اليعمري، محمد، ابن سيد الناس، (1993م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل، دار القلم – بيروت، ط1.

34. الصائغ، عبد السميع عبدالباري، (1979م) المعاهدات النبوية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة، مكة المكرمة.